الوقف على المختوم بالتاء وطبيعة ذلك الوقف

الدكتور أحمد كشك
مدرس بدار العلوم - القاهرة

من قضايا اللغة :

درج اللغويون فى حديثهم عن الوقف على المختوم بالتاء أن يقولوا بأن الوقف له علامة خاصة هي تحويل هذه التاء الى هاء تسمى هاء التأنيث . فما نصيب هذا القول من الصحة ؟

قبل ان نصدر رأياً فى هذه المسألة نعرض بعض حديث لدارسي العربية حتى يتسنى لنا بعد ذلك ان نبرز رأينا فى صورة واضحة وحتى يعلم اننا لم نهمل فكرهم تماما ولم نحور آراءهم تعسفا الى فكرة نحاول اثباتها . فما هى نظرة اللغويين الى هذه التاء عند الوقف ؟ بعبارة اخرى ما هى طبيعة الوقف على المختوم بالتاء عندهم ؟

يقول سيبويه فى ذلك : « فعلامة التأنيث اذا وصلت التاء واذا وقفت الحقت الهاء وأرادوا ان يفرقوا بين هذه التاء والتاء التى هى من نفس الحرف نحو تاء سبنتة وتاء عفريت وكذلك التاء فى بنتٌ .. وتاء الجميع اقرب الى التاء التى هى بمنزلة ما هو نفس الحرف من تاء طلحة لان تاء طلحة كأنها منفصلة وزعم ابو الخطاب ان ناسا من العرب يقولون فى الوقف طلحتْ كما قالوا فى تاء الجميع قولا واحدا فى الوقف والوصل » (1) ويقول ابن يعيش : « متى كان آخر الاسم تاء التأنيث من نحو طلحة وحمزة وقائمة وقاعدة كان الوقف عليه بالهاء .. وذلك فى الرفع والنصب والجر والذي يدل ان الهاء بدل من التاء انها تعتبر تاء فى الوصل،والوصل مما ترجع فيه الاشياء الى اصولها والوقف من مواضع التغيير ... على أن من العرب من يجري الوقف مجرى الوصل ، فيقول فى الوقف هذا طلحت وهى لغة فاشية حكاها ابو الخطاب » (2) .

---

1) الكتاب ج 2 ص 281 . وللمبرد نص قريب من ذلك فى المقتضب ج 1 ص 63 .
2) شرح المفصل ج 9 ص 81 . ولابن جني نص قريب من ذلك فى سر صناعة الاعراب ج 1 ص 176.

يوضح هذان النصان عدة أمور ، منها : ان الوقف على تاء التانيث بالهاء خاص بالاسم المفرد والصفة ، ويبدو ذلك من الامثلة التى وردت فى النصين . ومنها ان الوقف شامل لجميع الحالات الاعرابية . ومنها : أن بعض العرب يقف بالتاء دون تحويلها الى هاء مسميا ذلك اجراء للوقف مجرى الوصل .

والاشموني يقول بمثل ذلك . ويضيف الصبان فى حاشيته تعليلا يبرر به التزام التاء فى الفعل والحرف وعدم تحويلها الى هاء وهو خشية الالتباس حين تحول ضربتْ الى ضربه وربّتْ الى ربه فتختلط هذه الهاء حينئذبهاء الغير (3) . ويضيف الصبان احترازا آخر خاصا بالاسم وهو الا يكون الوقف بالهاء موقعًا فى لبس ترفضه اللغة .

ويرى الاشمونى فى الوقف على جمع المؤنث السالم وما ضاهاه-يريد بذلك هيهات وأولات — ان من الافضل الوقف بالتاء وإن سمع ابدالها هاء فى قول بعضهم « دفن البناهْ من المكرماهْ ...وكيف بالاخوهْ والاخواهْ وسمع هيهاهْ وأولاهْ . لكنه يعلق على ذلك بانه من لغة طىء وقد وسمه صاحب الافصاح بانه شاذ لا يقاس عليه (4) .

ويرى صاحب النشر ان الاسم المؤنث بالتاء يوقف عليه بالهاء ويرى ان هذه الهاء بدل من تاء التانيث . وان الوقف عليها يكون بالسكون . ولا يجوز فيه روم ولا اشمام . وفى امالة هذه الهاء المبدلة يقول ان بعض العرب امالها كما أمال الالف فقد قيل للكسائي إنك تميل ما قبل هاء التانيث فقال هذا طباع العربية (5) .

تلك احاديث للغويي العربية وعلماء القراءات نستطيع ان نخرج منها بالافكار التالية :

— ان الوقف على المختوم بالتاء يكون بالهاء اذا كان اسما مفردا او جمع تكسير رفعا ونصبا وجرا .

— أن هناك شرطا لذلك هو الا تكون التاء مسبوقة بساكن مثل بنْت وأخْت .

— ان عدم اطلاق الابدال على الفعل والحرف مرجعه أمن اللبس .

— ان هذا اللبس يجب ان يعمم ؛ لان امكان وجوده محتمل فى الصورة الاساسية « ضاربه » .

— ان الوقف بالهاء يكون بالاسكان ولا روم ولا اشمام .

— ان جمع تصحيح المؤنث وما شابهه يمكن ان يوقف عليه بالهاء وذلك قليل خاص ببعض العرب .

— ان الاسم المفرد المختوم بالتاء يمكن ان يوقف عليه بالتاء على قلة وذلك مثل : هذا طلحتْ على لغة . وهذا لا ينفى عربيتها فابن جني يقول :

« وقال ليس عندنا عربيت من دخل ظفار حمّر اي تكلم بكلام حمير فاذا كان كذلك جاز جوازا قريبا كثيرا ان يدخل من هذه اللغة فى لغتنا وان لم يكن لها فصاحتنا غير انها لغة عربية قديمة (6) .

يتبين من ذلك ان الوقف على الاسم المختوم بالتاء كما يرى دارسو العربية يكون بالهاء وهذه الهاء تنعت عندهم بهاء التانيث وانها مبدلة عن تاء التانيث حين الوقف . فهل تصور ابدالها من تاء التانيث يتفق والصواب ؟ لدي احساس بان هذه الهاء ليست الا هاء سكت جيء بها لاغلاق المقطع فى حالة الوقف وفى اقوال بعض اللغويين حولها ما يعطى ايحاء بذلك وان لم يكن نصا فى التعبير . يقول الصبان فى حاشيته حول المراد بهاء التانيث ان تسميتها هاء مجاز باعتبار حالة الوقف التى هى فيه ساكنة (7) . وفى قوله مجاز دليل على ان التسمية

---

3) حاشية الصبان على شرح الاشمونى ج 4ص 213 . واللبس المحتمل فى ضاربه ينفيه اعتبار السياق .
4) السابق ج 4 ص 213 — 214 .
5) النشر فى القراءات العشر ج 2 ص 79.
6) الخصائص ج 2 ص 28 .
7) حاشية الصبان ج 4 ص 209—210

بهاء التانيث من قبيل التجوز . ولعل ما دفعهم الى ذلك حيرتهم أمام الموجود فقد كانت هناك تاء حالة لوصل فاذا بها هاء فى الوقف ، ولاتهم أرادوا خلق صلة ما بين الحالتين الوصل والوقف سموها هاء التانيث وقالوا بابدالها : لكننا ندرك ان القول بمجازية الهاء يوحى بان الصلة واهية بين هذه الهاء والتانيث الذي ذهب به مطلب الوقف . وابن الجزري يقول : « اختلفوا فى هاء التانيث هل هى مالة مع ما قبلها او ان المال هو ما قبلها وانها نفسها ليست مالة.. ويقول : هاء السكت نحو كتابيهْ وحسابيهْ وما اليه لا تدخلها الإمالة لان من ضرورة إمالتها كسر ما قبلها وهى انما أتى بها بيانا للفتحة قبلها فنى إمالتها مخالفة للحكمة التى من أجلها اجتلبت . وقد يفهم من قوله أن هناك فرقا بين الهاءين من جهة الإمالة وعدمها وهذا لا يناقض قولنا اذ الهاء واحدة ولا يرجع الاختلاف الى الهاء نفسها ، ولكن الى الحرف الذي قبلها ، ذلك انهم اختلفوا فى هائنا هل هى مالة مع ما قبلها أو ليست مالة والمال هو ما قبلها . فشرط الامالة ليس دليلا على اختلافهما . والذي يجعلنا نرى انهما شىء واحد ان الروم والإشمام لا يدخلانهما اذ لو أن الهاء كانت بدلا من التاء كما راى اللغويون لكانت حرفا صحيحا يمكن له أن يشم ويرام فاذا لم يحدث له ذلك فافتراض انها بدل من تاء التانيث يصعب علينا قبوله . يضاف الى ذلك ان إبدال التاء هاء مباشرة ولأسباب صوتية محضة أمر صعب وحديثُ كانتينو عن بروكلمان يؤكد ما نراه اذ يقول : « ان التغيير الطارىء على التاء، والذي يسترعي الانتباه اكثر من غيره هو انقلاب علامة التانيث فى الاسماء والصفات اي (ة الى هْ) عند الوقف ولما كان ابدال التاء هاء مباشرة ولأسباب صوتية محضة من الظواهر المستبعدة نوعا ما ، فقد اقترح بروكلمان فى المختصر ج1 ص 48 تفسير هذا الحديث بالصورة التالية :

ان تسقط التاء عند الوقف فى مرحلة أولى نحو: ناتــة : ناقْ . ثــم أن تظهر بعد الحركة النهائيــة هاء ثانوية شبيهة بهاء السكت ... نحــو : نــاق : ناتهْ (9) . ويعلق كانتينو على ذلك بقوله وهو تفسير تحتمل صحته . فبروكلمان يكاد يقرر ما قلناه عن الهاء من امكان اعتبارها من قبيل السكت وقد أوضح لنا ذلك من خلال رؤيته السابقة . وربما سوغ ما نراه ايضا من الوقف على التاءات الاخرى لدى البعض فى تابوتْ ــ تابوهْ ، البناتْ ــ البناهْ ، ربت ــ ربهْ ، ثمت ثمهْ ، لات ــ لاهْ ، هيهات ــ هيهاه . كيف نسمى هذه الهاءات ؟ امن الممكن اعتبارها هاءات تانيث بالمفهوم الذي نراه فى فاطمة وحمزة!

ان الراي الذي اكاد أحسه ان الوقف على التاء انما يكون بعد اسقاطها باستراحة تتمثل فى وجــود هاء ساكنة تشبه هاء السكت . وقد يدفع قولنا ان هذه الهاء ترجع تاء فى الوصل وان الوصل مما ترد فيه الاشياء الى أصولها . وردنا على ذلك ان كــل الاشياء مع الوقف ترجع لأصولها حين الوصل . فهل نعتبر كل ظاهرة فى كل وقف بديلا من الوصل ؟

اننا نرفض فكرة البدل لان الوقف حالة تختلف طبيعتها عن حالة الوصل حيث لا تقارب بينهما واما مسالة الوقف بالتاء الساكنة لدى البعض فيما يسمى باجراء الوقف مجرى الوصل فلا نقرها ، لان التــاء هنا ليست كالتاء هناك فالوصل علامته التحريــك والوقف علامته الصمت او السكت ونحن لا نجد فى قولنا طلحتْ فى الوقف الا صمتاً او سكوناً لا يتفــق وطبيعة الوصل. فالوقف ما جاء الا عن طريق تــاء ليست بتانيث بل لغلق مقطع عند الوقف ومن هنا نرى ان الهاء او التاء التى لحقت الاسماء عند الوقف لا وشيجة بينها وبين ما يسمى بتاء الــتــانيث، حيــث اعتبارها هاء تانيث او تاء تانيث أمر يجانب الصواب.

---

8) النشر فى القراءات العشر ج 2 ص 85 .
9) دروس فى علم اصوات العربية . جان كانتينو ص 52 .